اوتوستراد

ممدوح عدوان

مطمئنا اسير :
هنا شارع ساحر ماطر
الخطى فيه مأمونة
كل ضوء يصير عليه شجر
المصابيح حور تدلى باسفلته
وتدلى على مائه الضحك من كل نافذة
ضفتاه تلفعتا بالنسيم
وفي حضنه كالخليّ استراح المطر
في الغروب يصير لعشاقه مرتعا
والحروب تحوّله مهبطا
ويؤدي الى خضرة حضنت بردى
اذ احاق الخطر
وخطاي توقع رقصة امن
أمامي مطار عتيد
وخلفي البلاد
سوارا من الخضرة العربية
حوّله قاسيون الى وطن شامخ
وعصيّ الصور
السماء على بابه تتبرج
من وهجه تتلفع تلك المدينة بالرائحه
مطمئنا اسير على شجر وظلال
وقلبي يزقزق بين الغصون
ويرسم في كل زاوية عاشقين
استفاقا على الحب في قبلة جامحه
كان بي حلم يتجمع مثل البكاء
وذاكرة تتلعثم
واجهت وقع خطا فوق مرآته
كان حارسه يتدلى براتبه
يتمنطق خوفا بواجبه
والخطا تنذر العابرين وتنهرني :
كيف لم اتلفت الى وجعي ؟
كيف لم أتحقق نهاية هذا الشرود ؟
ولم أتحسس تفاصيل ذاكرتي ؟
كيف أهملت تذكرتي وقناع البراءة ؟
والحارس الآن ينبع بين الظلال
وحربته بين عينيّ ضوء
أفيق وأدرك ان الخطا غير مأمونة
والبلاد الجديدة غير البلاد السعيدة
اني قعيد البلاد القعيدة

ـ الذين يضيفون بهارات كثيرة
لكي يستسيغوا ذلك الشيء الذي اسمه طعام

ـ الذين يشترون الشحم لتزفير لقمتهم
لقد أصيبوا بالقرحة .

شارع ماطر
والمسا ساحر يتجمع فوق التلال
استحال الصعود اليه زمانا
هو الآن يقبل مستسلما :
هل ترى هذه الميغ ؟ طائرة حولت للسياحة
هذي الخنادق مهملة تتجمع فيها المياه
غدا سنحولها للسباحه
نبني عليها جسورا الى المدن المستباحه

ثلاثين عاما وأنا أصفق لقتل الهنود الحمر في السينما وفي مرآة الشارع الماطر ، في مرآة الحربة المتحفزة ، في مرآة البيت ، في مرآة الحدود يطالعني هنـــدي احمر مذبوح يقرأ القرآن .

ما الذي تبتغيه اذن ؟
لا وضوح الخيانات أرضاك
لا رعدة الجبناء ،
ولا شهقات الدماء
لا تراكم قتلى المرور ولا الاغتيالات
هل يستوي الشهداء بما يربح الوسطاء ؟
أنى الاهل رتلا من الطامحين فصاروا طواغيت
أرضك ترجعهم لقراهم توابيت
ماذا تريد اذن ؟
أنت ما زلت تحلم أن تستعيد لدمعتك الكبرياء
تبتغي أن تطال السماء
انه زمن غير ما علّموك
وغير الذي جاء في كتب الله
أو كتب الماركسيين
غير الذي انذر الانبياء به
والذي عنده استشهد الشهداء
قصب السبق موت
وحبك صوت
بلادك مصيدة
والسياسة فيها غزل
الشراتون يفتح أبوابه ،
وزجاجات ويسكي
ويفتح عز البلاد المنيعة
يفتح في حفلة الانتصار النساء
فاستعد لهنّ
ولا تتساءل عن الفرق
بين امتصاص الدماء وبين القبل

حكى لنا خليل كيف انفعل للخيانة الزوجية ولم ينفعل للخيانة الوطنية ثم أضحكنا حتى طقّت خواصرنا وسالت دموعنا .

وحين أردنا مغادرته قال : لان النكات انتهت ، اسمعوا آخر نكتة :

ووضع مسدسا على صدغه وأطلق .

مطمئنا أسير
عجوزا توكأت ابواب عمري
فردت بكفّيّ سبحة عمري
وغادرت ضوضائي الجارحه
انها المرّة انفصلت عن طمأنينة الارض
فيها الشوارع ماطرة
صارت الشمس عرجاء تمشي عليها
تغيرت الارض
ان التجارة تعقل طائرة الميغ عند البداية
ان الشراتون يحلق غوطتنا في النهاية
يكمن بين نوافذه المال
يقنص نبض التراب
وفي الردهات الحسابات قابعة
تتربص ما قد يؤدي اليه التحرك في الجامعه
وكما شعشع السجن في قمة
تتنكر أقبية بالعصافير
لكنها أترعت صرخات وأسلحة وقنابل غازية
فالشراتون عملته صعبة
تتطلب أعتى الحماية
حتى المطار الذي كان سرا
غدا الآن للمال وللسندات مقرا
توسّع يستقبل العارضين
. كما تتوسع عند المخاض النساء
أقبلت لحظة الطلق
واختلطت زغردات النخاسة بالاستغاثات
هذي الزغاريد للحرب ، أو لانتهاء المعارك
هذي الزغاريد للمنتصرين ،
وأخرى لرتل الجنائز
(من جعلوا للهزيمة هذا الثمن)
زغردات تزيّن ضوء الطريق المؤدي لمقبرة
لم تجد ما تضم سوى حلمنا في الوطن
مطمئنا أسير
ورائي حصون الشراتون
قدامي السور للمعرض الدولي
وتبقى بلادي « غيتو »
سخيا بأمواته
وطليقا اذا ما أردت السفر
مطمئنا أسير وقد أدركتني كلاب الاثر
مطمئنا أسير
الى أين ...
أين المفر ؟

دمشق